

الحياة الثقافية في القدس المحتلة: إمكانات العمل إبداع وطني وقومي هل يبقى ويستمر؟!

تحسين يقين

كاتب فلسطيني - القدس

مضى 12 عامًا على اختيار القدس عاصمة للثقافة العربية، حيث زاد الأمل خلال تلك الفترة بنهوض ثقافي للمدينة، لكن ما شهدناه ونشهده ما هو إلا مبادرات فردية من مقدسيين، لم ترتق لتصبح نهجًا عامًا، كما لم توضع الجهود ضمن منظومة ثقافية لها صفة الديمومة.

وعلى الرغم من حضور القدس في القرارات المتتالية التي تتخذها اليونسكو، التي تؤكد على ضرورة الحفاظ على التراث الثقافي والمعماري والتاريخي في المدينة، إلا أن سلطات الاحتلال ماضية في فعلها، ساعدها على ذلك الفراغ الحاصل الآن.

كمدينة تاريخية ودينية وثقافية، ظلت القدس حاضرة عربية وإسلامية، على مدار قرون مضت، وظل ذلك حاضرًا حتى سقوط الجزء الغربي عام 1948، حيث بسقوط حواضر فلسطين عام 1948، تكون فلسطين قد فقدت معظم الحواضر. وبالرغم من وجود القدس في الجزء الشرقي، ونابلس والخليل، إلا أن الارتباط العضوي والموضوعي مع

باقي الحواضر المحتلة، خفف من حضور مدن الضفة الغربية في المشهد الثقافي الفلسطيني والعربي.

قبل 12 عامًا، انهارت غرفة صفيّة، بطالبتها في مدرسة قرب المسجد الأقصى، بسبب عدم سماح سلطات الاحتلال بترميم المدرسة، لعله ليس إلهادًا نفسيًا، حتى لا يحس أهل القدس بالاستقرار، ويظلوا قلقين، خائفين أن تقع الأرض تحتهم، فيظلوا معلقين، لا يقفون على أرض صلبة كما يعيش باقي البشر.

هنا نستعرض ما يمكننا ذكره، للتذكير بدور القدس التنويري، والمرور على السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات، بما جدّ من فعل ثقافي وفني وإعلامي وتربوي، وكيف آلت الأمور الثقافية في القدس في آخر عقدين، للتأمل والتفكير في إمكانات الفعل الثقافي إنسانيًا ووطنياً.

مقاربة تاريخية

هو سؤال حيوي مهم، وإستراتيجي، ترى ما هو موقع الثقافة في القدس؟ وهل إذا تتبعنا هذا الموقع تاريخياً، يمكننا قراءة مقارنة لما كان، ولما هو كائن الآن، باتجاه لما يجب أن يكون؟ كيف تعاملت السلطات التي حكمت القدس منذ القرن التاسع عشر في أواخر الحكم العثماني، ثم الاحتلال البريطاني، فالحكم الأردني، فالاحتلال الإسرائيلي...؟ ما الذي يمكن أن يكون في مدينة مستلبة على دفتين، يفصل ما بينهما 19 عامًا فقط؟ إنه تاريخ ثقافي متعسر، لثقافة وفنون تسيران على عكاز، في ظل وقف النمو وإعاقة الإبداع؛ فعلى الرغم من كونها حاضرة عربية عريقة، وكونها من مدن النهضة العربية الحديثة، ازدهرت فيها أواخر القرن التاسع عشر الصحافة والتصوير والتعليم ودور السينما والمسرح، وما ارتبط بالحدثة من فنون وثقافة، إلا أنها استلبت، فخفت مساهمتها في التنوير العربي. وبعيداً عن الموقف السياسي والوطني تجاه تلك الحقب من الحكم، يمكن ببساطة أن

نقرأ منطلقات كل حاكم تجاه الثقافة والفنون والمجتمع المدني وقضايا المجتمع والحداثة، وصولاً إلى ثلاث فترات مرثية، وهي مرحلة الحكم الأردني التقليدي، ومرحلة الاحتلال الإسرائيلي حتى عام 1994، أي قيام السلطة الوطنية، والثالثة وهي استمرار للاحتلال الإسرائيلي للقدس في مرحلة قيام السلطة الوطنية. ففي مرحلة الحكم الأردني، كان من الطبيعي أن يكون الواقع انعكاساً لنظام الحكم، ولأهداف وجوده هنا بشكل خاص، وهي أهداف استلزمها فراغ الحكم في فلسطين بعد حرب فلسطين عام 1948، فلم يكن نظام الحكم مستقرًا ولا حدثيًا معاصرًا، ولا مهمومًا بالتنمية، إلا من زوايا تقليدية، عبر التعليم، والنشاطات التقليدية، بما فيها من فولكلور وتراث، وهكذا.

استئناف محدود للنشاط الأدبي ما بين 1948 و1967

لم يكن لتشهد القدس ازدهارًا فنيًا في الفن التشكيلي والمسرح والموسيقى، ذلك أن ما كان من ازدهار في فلسطين قبل عام 1948، قد تم وأده وتشتيته. لذلك لربما تنشط الأدياء كون الكتابة بحد ذاتها نشاطًا فرديًا، لا تستلزم طواقم، وربما أيضًا أن الكتاب كانوا مسكونين بصدمة النكبة، فكانت الكتابات حينئذٍ وراثًا، ومحاوله للخروج والتحرر، لذلك لم تظهر الحركة الأدبية إلا في الستينيات من خلال حلقة أدبية التقت حول مجلة الفجر الجديد، حيث سمح تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية ببعض النشاطات، ولربما يعود كذلك إلى نمو الفكر القومي واليساري والإسلامي على حياء، فكان الأدب مجالًا للفكر. وظل هذا الهامش من الحركة الأدبية حتى وقوع صدمة «الهزيمة» عام 1967، التي خفف النظام العربي من وصفها، فأطلق عليها وصف «النكسة».

أما في مرحلة الاحتلال الإسرائيلي، فقد كانت في جزء منها امتدادًا لما كان سابقًا، وجزء منها سلخ المواطن عن قضاياها، ومقاومة أي فعل أو مبادرة مناهضة للاحتلال. وللأسف الشديد، لم تتم الاستجابة لما كنا نتوقعه من دور للسلطة الوطنية في القدس.

ما الذي حدث بعد عام 1967؟

الثقافة هي شعب، ونخب، وفعل اختياري باتجاه التغيير، وإعلام ووعي ومنظومة، وهي بالطبع لا تشكل أولوية في حالات العوز وعدم الاستقرار. للأسف غادرت القدس ومحيطها من البلدات والقرى العديد من الأسر المثقفة، التي كانت جمهوراً مضموناً للثقافة والفن، بل ومنتجة لهما.

لكن وبالرغم من ذلك، وبسبب صدمة هزيمة عام 1967، وظهور الثورة الفلسطينية. وهكذا، وجدت الأحداث الوطنية في القدس بشكل خاص حاضنة ثقافية مهمة، وكواجهة أيضاً للفعل الإعلامي والسياسي، امتداداً لمنظمة التحرير. وهكذا وعلى الرغم من قيود الاحتلال، إلا أن فترة السبعينيات والثمانينيات وصولاً للانتفاضة الأولى، قد مهّدت الطريق للأدب المقاوم، حيث تأسست كل من رابطة الصحفيين العرب واتحاد الكتاب، ومؤسسات أخرى.

تحولات المدينة

في أوائل التسعينيات، نتيجة الفراغ الذي نشأ بعد عزل المدينة وتأجيل قضيتها إلى ما عرف وقتها بقضايا الحل الدائم، واستمرار الفراغ وهجرة المؤسسات الثقافية خارج المدينة، ومع محدودية نتائج اتفاق أوسلو، وتعاضم الإسلام السياسي، والذي مثلت انتخابات 2006 دلالة على تنظيمه، حيث فازت الحركة الإسلامية بمعظم مقاعد دائرة القدس، ونشوء حالة سكانية هي خليط من هجرات سابقة من مدن أخرى كالخليل، وهجرات قرويين ولاجئين، لم تشكل الثقافة والفن أولوية لها، فكانت تلك الفترة حتى الآن، على مدار ثلاثة عقود، مجالاً لتراجع الحداثة والديمقراطية وحرية المرأة، لصالح الحالة السلفية، وهذا بالطبع صبّ في خدمة هدف الاحتلال، لأن هناك ارتباطاً بين الثقافة التنويرية والثقافة الوطنية، حيث وجد الكثيرون في الأمية الدينية بديلاً عن الخصوصية الثقافية. وهذا له

علاقة مباشرة بتشجيع الاحتلال للإسلام السياسي منذ أواخر السبعينيات.

لا بد إذاً من التحدث عن الثقافة بمفهوم إنساني ووطني، نظراً لدورها الأکید في صيانة الهوية الوطنية الفلسطينية المنفتحة على بعدها العربي والإنساني من الضياع، وفي صقل هذه الهوية وتطويرها.

إن ما تعيشه المدينة اليوم من تراجع، يجعلها لقمة سائغة وأبناءها وبناتها للمشروع الإسرائيلي الإبتاعي، وجعل الجيل الجديد بروليتاريا في الورش والمصانع والمزارع والخدمات الإسرائيلية.

إشكالية الحالة: مفارقة الانغلاق في مكان تعددي

على سطح المدينة يوجد في المكان مراكز ممثلة لمعظم دول العالم، بل لكل مذاهب تلك الدول وطوائفها، وبالإضافة إلى السياح هناك أناس مقيمون، جزء منهم من أبناء المدينة، يشكلون فسيفساء المدينة. في شوارع القدس القديمة يصل إلى سمعك لغات قديمة ولغات تخص الرهبان على تعددية كنائسهم العالمية والمحلية التي تتبعها.

ويمكن رصد المؤثرات على الحياة الثقافية في القدس، من خلال رصد المراكز الثقافية والتربوية والفنية العامة، حيث لا يجد الباحث صعوبة في التعرف على الواقع، فما إن يبدأ باستقراء هذا الواقع حتى يصفع بما يمكن الاصطلاح عليه، بـ«عزل القدس» عن السياق العام في الضفة الغربية وقطاع غزة، كمكان للسلطة الوطنية الفلسطينية، فباستثناء بعض المدارس ومؤسسات الأوقاف في القدس، لم تستطع السلطة الفلسطينية التمدد في المدينة، كما لم تتمدد رمزياً ولا وطنياً، مكتفية بالقليل من الدعم، خصوصاً لصحة المقدسيين، فتركت فراغاً في القدس، كي يتم ملؤه إما بمؤسسات ما يسمى ببلدية الاحتلال، أو بمنظمات المجتمع المدني، التي لم تضع الثقافة الجادة، ولا القدس، ولا القضية الوطنية، أولوية للعمل، بل سارت في عملها وفقاً لسياسة الممولين

باتجاهات دمقرطة المدينة، والتربية على حقوق الإنسان والمرأة والطفل، وعلى الرغم من أهمية هذا العمل، إلا أنه لم يصب في تفعيل الهوية الثقافية الفلسطينية والعربية (القومية) من منظور مقاوم، وتحرري.

فصارت ثقافة القدس ثقافة لا تضع في أولوياتها الثقافة المقاومة، فاندفعت الجماهير والنخب المثقفة لتلبي ما يعرض عليها من مشاركة في ورشات أو ما يعرض لها من أعمال فنية، فصارت تتأثر بها، فحصل نوع من التشبث الثقافي والقيمي، ففي الوقت الذي انخرطت فيه النخبة في هذه الأنشطة، اندفعت نخب أخرى باتجاهات الإسلام السياسي كما ذكرنا سابقاً، بدوافع دينية واجتماعية، وفي كلتا الحالتين، تم إبعاد الثقافة قسرياً عن الفعل الوطني والثقافي الحقيقي، الذي ينظر إلى القدس وفلسطين نظرة عميقة بنائية، تسعى نحو الانعتاق من الاحتلال، وبناء وطن حر، بإرادة حرة، بأجندات تتبع من داخل المواطنين والمواطنات، لا أجندات تشبثية، لا تشكل الأساس المتين، في المقاومة والتحرر من جهة، والبناء من جهة أخرى.

وبذلك تكونت ثقافة جديدة بشكل خاص في القدس، دفعت الجماهير المثقفة لتكييف نشاطاتهم باتجاهات معينة، ودفعت - وكان ذلك بشكل أسهل - رجال المدينة ونساءها للمشاركة في هذه الأنشطة، لمجرد المشاركة وتمضية الوقت، وإثبات الذات عبر هذه النافذة الضيقة.

فإذا استقرت هموم المقدسيين والمقدسيات، والتي تأتي في ظل التهويد، والبطالة، فستجدهم باحثين عن عمل وتعليم ومراكز صحية، وتأمينات اجتماعية، على طريق الخلاص الفردي، بعيداً عن الخلاص الجمعي، للقدس المحررة، وفلسطين الحرة المستقلة، والتي هي بالضرورة منطلق حل المشكلات الفردية، من عمل وتعليم وصحة وبناء بيوت وثقافة وفن.

مقاومة الانغلاق

ما زالت رياح التعددية تقاوم التهويد، بدءًا بالوجود الإسلامي والمسيحي الواضح، ولعل المؤسسات التابعة للكنائس والقنصليات الغربية على وجه الخصوص كثيرة، منها ما هو قديم خاص بالآثار كالمؤسسة البروتستانتية والبريطانية مثلاً، إضافة لعدد من المراكز الثقافية للمركزين الثقافيين البريطاني والفرنسي، في حين تعددت مرجعيات الوجود الثقافي والتعليمي في القدس، فمنه ما له علاقة بالمؤسسات الأجنبية والكنسية، وكذلك الأهلية، إسلامية كانت أم مسيحية، أو لها علاقة بالمملكة الأردنية الهاشمية من مؤسسات تخص بشكل خاص الأوقاف ومؤسساتها، ومنه ما له علاقة بما يسمى بدائرة المعارف التي تتبع بلدية الاحتلال التي تمت إقامتها مع احتلال المدينة عام 1967، ومنه ما تبع للسلطة الوطنية الفلسطينية بشكل غير مباشر بعد تأسيسها عام 1994، أو مباشر بشكل محدود. ومنه ما تبع مؤسسات منظمة التحرير أو مؤسسات أكاديمية وطنية.

ممكنات للتمويل

صحيح أنه عملياً بعد اتفاقية أوسلو وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية لم تعد القدس عاصمة سياسية وثقافية كما كانت، لكن ينبغي أن تكون النظرة المستقبلية نظرة إستراتيجية تحافظ على جميع البنى وعلى رأسها البنية السياسية والثقافية، وليس هذا صعباً خصوصاً أن المدينة تشكل مركز جذب لمساعدات العالمين العربي والإسلامي. ويمكن إن أحسنت المؤسسات أداءها وحافظت على مصداقيتها مع جمهورها المقدسي والفلسطيني والعربي والإسلامي والعالمي أن تحصل على تمويل نشاطاتها، وليس صعباً أن تدعم مالياً ومعنوياً، وذلك أن تأصيل الثقافة العربية والإسلامية للقدس هو مطلب يحظى بإجماع وطني وقومي وديني (إسلامي ومسيحي).

في العقد الأخير نشطت ما يسمى «بلدية القدس» في النشاطات الثقافية والتعليمية،

وبسبب سوء الأحوال الاقتصادية، وتراجع الدور الوطني، ظهرت هناك مؤسسات وأفراد يتعاملون مع الأمر الواقع، كخلاص فردي لا جمعي لسكان المدينة وشعبها.

الثقافة والفنون منابع وطنية للحفاظ على الهوية العربية

إذا كان الفعل الثقافي قد انحسر في مدينة القدس، من خلال أسرلة المدينة وتهويدها، لتفريغ أهم قضايا الحل الدائم من مضامينها، من خلال استغلال «بلدية القدس لعزلة المقدسيين، فما زالت هناك فرص إن وجدت الإرادة فعلياً، لانطلاق النشاطات الثقافية في القدس من باب الحفاظ على الهوية الحضارية للقدس، وتفعيل دور النخبة المثقفة كطليعة تدافع عن عروبة المكان.

مؤسسات القدس الثقافية

في القدس حوالي 16 مؤسسة فنية، وبالطبع ليس كلها مؤسسات فاعلة، لكن لا أحد يمنع المؤسسات غير الفاعلة أن تفعل نفسها فنياً ليصبح وجودها على خارطة ثقافة القدس وجوداً عملياً لا مجرد تاريخ مضي. فالبدء بالمؤسسات الفاعلة لا ينفي تفعيل غيرها في المستقبل. ولا ينبغي أن تظل ثقافة النفي للآخر سائدة بمنطق غير عملي أيضاً.

مركز دراسات القدس

في موازاة المحطتين الخامسة والسادسة لطريق الآلام، إلى نهاية طريق الواد التي تؤدي إلى الأقصى والبراق، وفي داخل سوق القطنين (صناعة القطن أيام زمان) نجد محطة قوافل قديمة وخلافة يطلق عليها خان تنكز، ويحتوي هذا المكان على حمامي العين والشفاء اللذين يعدان حمامين عامين أساسيين، استخدمهما سكان البلدة القديمة منذ تأسيسها في عام 1330 ميلادي حتى أوائل السبعينيات من القرن العشرين.

وقد تأسس مركز دراسات القدس عام 1998 ليكون أول مركز فلسطيني متعدد المناهج للدراسات حول المدينة ليتناول وضعها الفريد للفلسطينيين خاصة وللعالم عامة. عمل

المركز على إحياء الحياة والثقافة في البلدة القديمة، وأطلق مكتبة القدس الافتراضية على الإنترنت، وهي قاعدة معلومات علمية حول تاريخ المدينة تضم كتابات للمقدسي وشاتوبريان ومجموعة ثرية من فن التصوير القديم من بونفيس إلى إيليا كاهفيد يجيان، إضافة إلى مجموعة من الخرائط والمخطوطات اليدوية. ومن نشاطاته المميزة برنامج «رحلات حول القدس» لمحبي اكتشاف القدس من وجهة نظر فلسطينية، من مثقفين ودبلوماسيين وسائحين لرؤية المدينة القديمة وتعددتها وعلاقتها مع المراحل الحضارية التي مرت عليها. والمميز بأن هذا المنظور الفلسطيني ليس منغلَقاً، بل منفتح يدرك خصوصية المكان وتعددته، وحضاراته ودياناته الثلاث.

ينطلق المشاركون في برنامج زيارات واكتشاف والتعرف على القدس من خان تنكز مقر المركز، فهو سوق مملوكي أسسه المملوك تنكز في القرن الثالث عشر للميلاد.

من مظاهر إحياء الحياة في البلدة القديمة نشاطات المركز الرضائية، مثل مسيرة أطفال القدس حاملي الفوانيس، كذلك عقد أمسيات موسيقية صوفية في مسجد نقشبندي الصوفي، ورواية القصص بواسطة الحكواتي..

مدينة الكتب والمخطوطات

مدينة تحتاج مخطوطاتها إلى عناية وترميم ونشر أيضاً، لتعيد زمان القدس بكامل بهائه، فمنها مكتبة الأقصى جارة المسجد الأقصى في الجهة الغربية، التي ما إن تدخلها حتى تراك تدخل في التاريخ، وهي مكتبة متخصصة متوسطة لكن غنية، وقريب منها في البلدة القديمة مكتبة الخالدي، وهي خاصة بأحد أعيان القدس، لكنها مهداة لمحبي القدس، وهي تشغل مبنى تاريخياً، تصطف فيها الكتب والمخطوطات، وهي تصلح لتكون أيضاً مركزاً ثقافياً لوجود فضاء يسمح بعقد ندوات متخصصة وبرامج للكبار والصغار. وقبل عام تقريباً تم تأسيس موقع لها على الإنترنت.

وهناك مكتبات صغيرة للكثير من المؤسسات، خارج البلدة القديمة، هناك مكتبات حديثة، ولكن مكتبة فهمي الأنصاري تظل محتفظة برونق خاص، فهي مكتبة لمثقف مقدسي، أي مكتبة بيتية، لكن لغناها، لم يشأ الأنصاري حرمان المثقفين وطلبة العلم من الانتفاع منها، وهي بالرغم من صغرها إلا أنها تحتوي على كتب لا يوجد الكثير منها خارجها. وقد تم إغلاق مكتبة الأنصاري.

والمهم أن هذه المكتبة، ومكتبة الخالدي، تدلان على المستوى الراقى لأهل القدس، ولولعهم بالكتب، وربما تأثراً بالثقافة الإسلامية التي تحث على عدم احتكار المعرفة.

هنا كان إسعاف النشاشيبي

وهناك مركز إسعاف النشاشيبي للثقافة والأدب، الذي أسس في قصر دار النشاشيبي، على اسم علم راحل من أعلام القدس وهو المرحوم محمد إسعاف النشاشيبي، محب العربية، الذي ألقى كلمة العرب في أمسية تكريم أمير الشعراء أحمد شوقي في القاهرة، حيث مازال المكان يستحضر الزوار العرب من كبار الكتاب والفنانين إلى القدس، يوم كانت القدس!

يضم المركز مكتبة، وتجري فيه النشاطات الثقافية. وهو مكان جميل وعريق يشكل فضاء رائعاً للفعل الثقافي المقدسي.

نادي الموظفين

إن نادي الموظفين من أنشط المؤسسات التي قامت في المدينة المقدسة؛ فقد ساهم في إنشاء معظم المؤسسات الوطنية من نقابات عمالية ولجان عمل طلابية ونسائية وتطوعية وفنية ومسرحية. تأسس نادي الموظفين سنة 1955م وهو من أوائل المؤسسات بالقدس الشريف ويعتبر امتداداً لدمج الناديين النهضة والعربي آنذاك.

يبدو أن الرياضة كانت على رأس أولويات النادي، لكن المجال الثقافي كان حاضراً وما

زال؛ خصوصاً إقامة الندوات والمحاضرات والمسابقات، وإقامة المعارض للفن والتراث ونشر الوعي الثقافي والوطني، وحتى خلال جائحة كورونا فقد نشط النادي ثقافياً عن بعد عبر تقنية الزووم.

الملتقى الفكري العربي

تم تأسيس الملتقى الفكري العربي (ATF)، والمعروفة باسم الملتقى باللغة العربية في القدس في 1977 كمنظمة فلسطينية مستقلة. على أساس المبادئ الديمقراطية مثل الانفتاح والشفافية وحرية التعبير، ويوفر منبراً لصانعي القرار الفلسطيني، وقادة الرأي العام والمواطنين في التعبير عن آرائهم. إنها لا تتبع لأي حكومة أو حزب سياسي أو منظمة. قوة ATF تكمن في الحياد السياسي، الذي يسمح لها لتعمل بحرية مع مجموعة واسعة من المواضيع ذات الصلة بالقضية الفلسطينية من بناء الديمقراطية، وفي نهاية المطاف الاستقلال. كمنظمة الفلسطينية الرائدة المتخصصة في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية، عملت مؤسسة الفكر العربي لعقدين من الزمن باعتباره منصة مهمة لعرض إستراتيجيات التنمية لبناء الدولة الفلسطينية. في البداية التركيز على الدراسات العلمية والبحثية، وسعت مؤسسة الفكر العربي لتحديد بنشاط القضايا الحرجة للتحليل والنقاش العام، والشروع كذلك انتقائي التجريبية المهمة والمشاريع على المدى الطويل من أجل التأثير والمساهمة في تنمية الشعب الفلسطيني. في إطار ولايتها التأسيسية، نجحت مؤسسة الفكر العربي في لعب دورٍ رئيسي في التأثير وتشكيل تفكير صانعي السياسات. افتتحت والحفاظ على خطوط قوية من الاتصالات مع السلطة الوطنية الفلسطينية والمثقفين الفلسطينيين والمواطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد ATF من خلال هذه العلاقات قادرة على المساهمة في المناقشات حول صياغة الدستور والسلطة ومشاريع القوانين الفلسطينية الجديدة. وهكذا فقد ثبتت قدرتها على الاستجابة بسرعة لتحديات القضايا الحرجة التي

تتطلب المناقشة العامة والتقييم والتوصيات سياسة مدروسة جيداً. وبعد توقيع اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية في 1993، كان الفلسطينيون على عتبة تحقيق نضالهم من أجل الحرية والاستقلال والازدهار. وإدراكاً لأهمية تشكيل الاقتصادي والديمقراطي السليم والتنمية، في 1994 ATF بدأ العمل على إعادة تحديد إستراتيجياتها والفلسفة لتتوافق مع هذه التغييرات في المجتمع الفلسطيني.

مسارح القدس

أشهرها المسرح الوطني، الذي تأسس في مكان سينما النزهة، كمسرح حكواتي على يد رواد المسرح في الثمانينيات، بقيادة المسرحي الفلسطيني - الفرنسي فرانسوا أبو سالم، ثم تحول الحكواتي إلى المسرح الوطني، وهو منذ تأسيسه يسعى للنهوض بالمسرح، عبر إنتاج مسرحيات، وعقد مهرجانات كمهرجان الدمى والعرائس الذي توقف بعد الدورة السابعة، ومهرجان القدس المسرحي الذي توقف بعد الدورة الثانية، لكن مشكلة المسرح أنه يعاني من نقص حاد في التمويل، وهو يعتمد على التمويل الخارجي، إضافة إلى مشكلته مع سلطات الاحتلال التي سرعان ما تغلقه إذا شئت أنه ستقام فيه فعالية لها علاقة بفلسطين.

ومن الفرق المسرحية في القدس فرقة أيام المسرح التي تعمل الآن في كل من الخليل وغزة، يقود الفرقة الفنانة جاكى لوبيك ويان ولمز والفنان عامر خليل.

ومسرح سنابل بقيادة الفنان أحمد أبو سلوم، وفرقة الجوال المسرحية بقيادة صقر السلايمة، الذي يعاني اليوم صحياً، وهي فرقة صغيرة، ومسرح الرواة، بقيادة الفنان إسماعيل الدباغ، وهذه الفرق تنشط من وقت إلى آخر حسبما تستطيع، وحسبما يتوافر من تمويل.

أما مسرح القصبه الذي أسسه الفنان الكبير جورج إبراهيم فقد نقل مقره إلى رام الله.

جاليريات القدس

جاليري المسرح الوطني، في القاعة الثانية، التي تستعمل مسرحاً صغيراً ومكاناً لمعارض الفن التشكيلي.

حوش الفن الفلسطيني

مؤسسة ثقافية فلسطينية غير ربحية تعنى بمجال الفنون البصرية وإحيائها. تأسست عام 2004 من قبل مجموعة من الفلسطينيين، الذين لمسوا حاجة المجتمع الفلسطيني إلى جسم مهني يعمل على إحياء ورعاية الفنون البصرية، كونها مكوّنًا رئيسيًا للهوية الثقافية الفلسطينية. أنشئ حوش الفن بهدف رئيس هو إقامة «متحف الفن الفلسطيني» في القدس، ليكون جسمًا وطنيًا يقدم للجمهور مساحة للعرض والتحليل والمعرفة والترفيه والتواصل. وتتمثل رسالته في تجميع وحفظ وتفسير وترويج الفنون البصرية الفلسطينية. ولتحقيق هذا الهدف يقوم الحوش بإدارة وتقديم مجموعة من البرامج والنشاطات التي تسعى إلى خلق تواصل وتفاعل ما بين الفن والمجتمع، بالإضافة إلى بناء ورفع مستوى المعرفة الفنية وحفظ وتوثيق إنتاج الفن الفلسطيني. كما أن هناك نشاطًا دائمًا لإيجاد مصادر التمويل لإنشاء المتحف وخلق شراكات تساهم في مجال الاستشارة وتبادل الخبرات وتنمية الطاقات البشرية.

كما يتم توفير فضاء للفنانين ومنتجي الأفلام الفلسطينيين والعرب والعالميين لإقامة المعارض، وتعميق الحوار الفني والنقدي والتفاعل مع المجتمع المحلي. كما نفتح مساحة للتشبيك ما بين الفنانين الفلسطينيين والفنانين العرب والعالميين. أما في مجال معارض الفنون البصرية، فيتم تنظيم عدة معارض فنون بصرية يتم من خلالها تقديم إنتاج الفنانين الفلسطينيين الشباب والرواد، حيث تتناول هذه المعارض مواضيع وأشكالاً متعددة من الفنون البصرية، كالرسم والتصوير والأعمال الإنشائية وفنون

الفيديو وغيرها. كما تمت استضافة معارض لفنانين عرب وأجانب، في فلسطين وخارجها. ويقدم الحوش ضمن برنامج السنوي ورشات عمل فنية يديرها فنانون فلسطينيون وأجانب قديرون. تستهدف الورشات قطاعات الأطفال والشباب والنساء، وتكسب المشاركين فيها خبرات جديدة تعزز قدراتهم الإبداعية وتساهم في طرح وسائل وتقنيات وخامات جديدة للتعبير عن الذات، من خلال الرسم والنحت والتصوير والأعمال الإنشائية وغيرها من مجالات الإبداع البصري. كما نعمل أيضًا على تقديم ورشات عمل للفنانين الناشئين تطرح مواضيع محددة تمكنهم من تطوير موهبتهم وقدراتهم الفنية، واكتساب الخبرة من فنانين فلسطينيين وعالميين رواد. كما يتم من خلال برنامج الاستضافات الفنية في دعم الإنتاج الفني ورعايته، من خلال استضافة فنانين عرب وعالميين في فلسطين للعمل على إنتاج مشروع فني، بهدف بناء جسور للتبادل الثقافي بين الفنانين الفلسطينيين والعرب والعالميين، من خلال العمل المشترك فيما بينهم وتبادل الخبرات والتجارب.

توثيق الفن الفلسطيني

يساهم حوش الفن الفلسطيني في توثيق وحفظ إرث الفنون البصرية الفلسطينية من خلال «أرشيف الفن الفلسطيني» بالاعتماد على أرشيف مركز الواسطي الذي توقف العمل فيه في العام 2000، فيقوم حالياً باستكمال وتطوير وتجديد هذا الأرشيف، يضم الأرشيف ملفات حديثة للفنانين الفلسطينيين، لتوثيق الأنماط والحقب المتعددة في مجال الإنتاج الفني الفلسطيني، ويشكل مرجعاً معرفياً ومعلوماتياً للباحثين ومؤرخي الفنون والقيمين والمثقفين. كما يسعى لبناء شراكات وتعاون مع مؤسسات فنية وأكاديمية على رأسها الجاليري الافتراضي - جامعة بيرزيت، وذلك لتوسيع المشروع وتبادل المعلومات والسعي لتعميمه ونشره.

كما توجد مؤسسة المعمل للفن المعاصر، وهي من خلال اهتمامها بالفن المعاصر تسعى إلى

النهوض الفني بالفنانين الفلسطينيين، يشرف عليها الفنان المعروف جاك برزخيان، وهي توجد في البلدة القديمة. إضافة لجاليري أناديل أيضًا، وهو مكان صغير للعرض.

ملتقى الفنان المقدسيات

تأسس على يد صحبة من الفنان التشكيليات من القدس، ليحمل هم القدس والفن والمرأة أيضًا، خصوصًا المرأة الفنانة التشكيلية، منسقة الملتقى مها ادعيس تنطلق من الاعتماد على الذات، حيث أنجزت عدة نشاطات ناجحة. لكن يبدو أن الملتقى توقف.

وفي القدس موسيقى وغناء!

يبوس

«يبوس للإنتاج الفني» مؤسسة فلسطينية غير ربحية تتخذ من مدينة القدس مقرًا لها، وتقوم بالإنتاج الفني بمختلف تخصصاته، وبشكل خاص الموسيقى. تأسست يبوس في العام 1995، بمبادرة مجموعة من المقدسيين المعنيين بإنعاش وتطوير الحياة الثقافية في المدينة وإعادة الروح إلى ربوعها.

وتهدف المؤسسة إلى تطوير العمل الثقافي الفني في فلسطين بشكل عام، وفي القدس بشكل خاص. وإعادة الدور المركزي للقدس في الحياة الثقافية الفلسطينية، وربطها بالبعد الثقافي العالمي، مع التأكيد على طابع المدينة العربي، الفلسطيني والديني. وبناء جسور للتبادل الثقافي، من خلال تقديم نماذج فنية مميزة من مختلف الثقافات والحضارات والجنسيات، للجمهور الفلسطيني على مدار العام. وتسويق الفنانين والفرق الفلسطينية ومنتجاتهم محليًا، عربيًا وعالميًا. والارتقاء بمستوى التذوق الفني لدى الجمهور الفلسطيني. وبث روح التطوع والمساعدة بين أبناء الجيل الشاب. وإقامة النشاطات في مواقع مختلفة ومميزة ببعدها التاريخي، داخل أسوار القدس وخارجها. والمساهمة في تطوير الجانب الثقافي، والفني والاقتصادي، والتعليمي للمدينة المقدسة. وتعريف السائح على الفنون

الفلسطينية المختلفة وربطه بالبعد الإنساني للمدينة. والمساهمة مع المراكز والمؤسسات الثقافية الأخرى في بناء بنية تحتية للعمل الثقافي الفني.

مركز يبوس الثقافي المعاصر

في 15 شباط/ فبراير 2006 تم توقيع عقد استئجار المقر الذي يقام فيه هذا المركز بين مؤسسة يبوس للإنتاج الفني وشركة سينما القدس لمدة 18 عامًا. وقد شيّد هذا المقر في شارع الزهراء في مدينة القدس في الخمسينيات من القرن الماضي بإشراف مهندس لبناني، على مساحة 1000 متر مربع تقريبًا. ويتكون من 800 مقعد. وكان يستخدم كسينما لعرض أفلام تجارية حتى أغلق في عام 1987 مع اندلاع الانتفاضة الأولى. تم الانتهاء من ترميم المكان، وإعداده فنيًا، لتلبية لحاجات معظم مكونات المجتمع المقدسي بمختلف فئاته العمرية وقطاعاته وشرائحه المجتمعية والجنسين دون أي تمييز. والمراكز والمؤسسات الثقافية والفنية. والمدارس في القدس وفلسطين إن أمكن. والمؤسسات والجمعيات المحلية والدولية العاملة في فلسطين. تم توفير قاعة سينما تتسع لـ 120 شخصًا، وقاعة عروض موسيقية تتسع لـ 420 شخصًا، إضافة لتوفير قاعات وغرف مناسبة للورشات ودورات التدريب والمعارض.

أما مهرجان يبوس السنوي الذي يقام في قبور السلاطين، فيقوم باستضافة أشهر الفرق المحلية والعالمية للمشاركة، لتحويل ليل القدس إلى ليل حيوي يضج بالمرح والغناء.

والموسيقى.. في استوديو «صابرين» المهدد بالإغلاق

لفرقة «صابرين» علاقة حميمة مع الشعب الفلسطيني، فعلى مدار ربع قرن من الإبداع وابتكبت الفرقة منذ مطلع الثمانينيات حتى الآن حياة الشعب من خلال التعبير الموسيقي والغنائي، والعديد منهم يملكون علاقة إنسانية مع ألبومات الفرقة الغنائية، وكلمات

والحان أغانيها المميزة.

نصف ساعة أو تزيد قليلاً هي الفترة التي انتظرت فيها الموسيقار والملحن سعيد مراد، جلت بنظري في أركان المكان، كان صوت كاميليا جبران يغني في داخلي، وكانت الموسيقى العذبة تناسب في مسمعي.. هناك على المدخل الشمالي لمدينة القدس ليس بعيداً عن مشفى العيون الشهير، يوجد استوديو «صابرين» الذي ملأ أسماع الفلسطينيين موسيقى وغناء، في وقت لم يكن هناك موسيقى غير موسيقى الأعراس.

يجول نظري في أركان المكان، فعلى الجدران ثمة صور وشهادات وبوسترات: شهادة مشاركة في مهرجان جرش في صيف عام 2001. بوستر آخر تتوسطه عبارة «صابرين: موسيقى من فلسطين» على خلفية أبواب بأقواس تحاكي أبواب القدس مع لون زهري، دون تاريخ، برواز للألبوم الغنائي جاي الحمام الذي صدر عام 1981 في حين طبعت عليه بصمة إبهام شخص ما، صورة أخرى تضم سعيد مراد وكاميليا جبران وعصام مراد وسامر مسلم، مشاركة أخرى للفرقة في مهرجان أميركا للفولكلور. بوستر ألبوم «موت نبي» الذي صدر عام 1982 الخلفية «قبة» الثوب الفلسطيني داخلها مستطيل عبارة عن صورة للفرقة. أصعد درج المؤسسة الموصل إلى السطح، ثمة صور فوتوغرافية مثبتة على جدارية من الكرتون المقوى كأنها تحكي محطات من تاريخها. هذه كاميليا جبران والمخرج رشيد مشهراوي مع الشاعرة فدوى طوقان، وهذا الشاعر توفيق زياد يحمل سيجارته، وهذا جورج غطاس بتوثبه وحضوره، يعقوب أبو عرفة بخفة دمه وشروده، وحسين البرغوثي بتأملاته، جاك برزخيان بأناقته وجمال سحنته، محمد البكري بابتسامته مع عودة ترجمان وعماد مزعرو، المسرحي جورج إبراهيم لم ينس أرجيلته..

أعود إلى الحجرة.. هذا بوستر الألبوم الغنائي «من بعد» للفنان الشاب وسام مراد، مشاركة في نشاط لجمعية المرأة العربية.. جرش مرة أخرى.. شكر من دار الأوبرا المصرية

لـ«صابرين» ولكاميليا جبران للمشاركة في مؤتمر الموسيقى العربية العاشر 2001.
صابرين الآن مهددة بالإغلاق والسبب قلة التمويل.

الارموي

من المراكز النشطة أيضًا مركز الأرموي للموسيقى المشرقية بقيادة الفنان خالد جبران، الذي اشتهر مع أخويه بمصاحبة الشاعر الراحل محمود درويش في العزف خلال أمسياته. ومعهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى تأسس في مدينة رام الله، أولاً، ثم فتح المعهد له فرعاً في القدس، وبيت لحم وأريحا ونابلس، وقد أطلق على المعهد اسم إدوارد سعيد تخليداً لذكرى المفكر الفلسطيني الراحل.

ومن الحلقات الأدبية الفاعلة في القدس «ندوة اليوم السابع» التي تقام في المسرح الوطني الفلسطيني كل أسبوع، وهي مستمرة من أكثر من عقدين ونصف.

خطوات على الطريق

وهكذا فإن حال الثقافة في القدس كحال المقدسيين، الذين صاروا أيتامًا، فتحاول المؤسسات الإسرائيلية تبنيهم، كي يتم احتواؤهم، فما العمل؟

يبدأ العمل من المقدسيين جميعًا، من خلال نقاش مسؤول بين كل المؤسسات العامة والوطنية من جهة، لتقرر مسألة الثقافة كفعل بقاء إبداعي وتنويري، ثم فتح نقاش إجرائي وإستراتيجي مع المؤسسات الثقافية القائمة لبحث تقوية البقاء الثقافي والإنساني التنويري المقاوم، باتجاه نشر ثقافة التنوير والديمقراطية والخصوصية الوطنية، باتجاه أن تشكل فضاء لمختلف الأجيال للمقدسيين.

وهنا أولاً وأخيراً، مطلوب من المؤسسات الثقافية والفنية عصرنة عملها، وترتيب العمل الإداري، والتعاون فيما بينها لتقوية بعضها بعضًا، والاهتمام بالتخصص. جنباً إلى جنب

مع النهوض الثقافي والفني، وإشراك المجتمع المقدس خاصة الجيل الجديد.

هنا يمكن استعادة الجمهور المقدسي لفعاليات المؤسسات ونشاطاتها، كتجمعات فنية ووطنية في آن واحد. لكن السؤال: ألا يستحق هذا المشهد الصعب للجبهة الثقافية المقدسية وهو يواجه كل تلك التحديات أن تُمد له يد العون والإسناد والدعم وخاصة المالي على الأقل من لدن المعنيين ومراكز المسؤولية إلى جميع المهتمين بتمويل الحياة المقدسية بآليات ضامنة للشفافية والفعالية؟ ألا من يسمع نداء القدس؟

مقترحات ممكنة

وإلى ذلك، لا بد من إيجاد جسم ثقافي مقدسي من أجل التعاون والتنسيق، ينطلق من الكل للواحد، والواحد للكل كشعار نبيل تلتزم به المؤسسات، بحيث لا يكون الخلاص الفردي هو السائد.

وعليه يمكن التعاون في مجالات الثقافة والفن من خلال ما هو موجود وقائم، على النحو الآتي:

- الأدب: عقد ندوة اليوم السابع في مركز ومؤسسات متنوعة، بحيث تتم استضافتها وتوسيع جمهورها. وعمل تشبيك مع كليات الآداب في الجامعات الفلسطينية واتحاد الكتاب.

- نشر كتب أدبية جادة من خلال لجنة قراءة من كتاب القدس.

- استضافة عروض سينمائية ومسرحية، بتذاكر رمزية للجمهور.

- دعم وتمويل جزئي للعروض المسرحية، مسرحيتان لكل فرقة سنوياً، وعرض المسرحيات في مسارح فلسطين، ومنحها فرص المشاركة في المهرجانات.

- إعادة مهرجان الدمى والعرائس والاهتمام بمسرح الطفل، بمنحة من عدة مؤسسات.

- تأمين عروض فن تشكيلي لفنانين/ات من مراحل عمرية مختلفة. وتشجيع اقتناء لوحتين من كل معرض، أو من كل فنان في أي معرض جماعي. مع دعم تقديم المواد والألوان.
- مساعدة المؤسسات القائمة بمنحة سنوية حتى لا يتم إغلاقها، مثل المسرح الوطني ومؤسسة صابرين.
- اعتبار الفضاءات الفنية في المؤسسات فضاء واحد، يسمح للمنتجين الفنيين بعرض منتجاتهم.
- عقد شراكات ما بين المؤسسات المقدسية ومؤسسات الثقافة الفلسطينية.
- عقد شراكات وتوئمة بين المؤسسات الثقافية المقدسية والمؤسسات الشبيهة في العالم العربي.
- إنشاء نشرة إعلامية متخصصة بالثقافة والفنون في القدس، تساهم في تمويلها المؤسسات، ورقياً وإلكترونياً.

منظومة عمل وبنية

- يجسّن ألا يكون العمل موسميّاً، ولا ارتجاليّاً، بل أن يتم في سياق المنظومة الثقافية، من منتجي الثقافة والجمهور، وسلسلة الإجراءات والعلاقات.
- فعند التفكير بفض المسرح في القدس، نحن إزاء التأليف والإخراج والتمثيل، وكل ذلك يحتاج إلى تدريب الأجيال الجديدة، ومنحها فرص الدراسة في كليات الفنون، ومن ثم تشجيع التأليف والإعداد، وعمل الموسيقى، وفهم سيكولوجية الجمهور، والعمل على بنائه من جديد.
- كل جانب وتخصص فني، مكون من عناصر، يصدر من طاقم أو من أفراد، يستهدف

جمهوراً معيناً، يحتاج إلى مكان وزمان، وإعلام مصاحب يقوم بتغطيته.

لذلك من المهم فحص المنظومة الثقافية والفنية، ومعرفة ثغراتها ونقاط القوة فيها. كذلك لا بد أن تحضر القدس وفلسطين في الثقافة والفنون، بشكل إبداعي لا شعائري.

الإبداع فردياً وجمعياً هو اختيار، والإقبال عليه كذلك، لكن ثمة رسالة بين المرسل والمستقبل، وباعتبار أن رسالة القدس نبيلة، فإن العمل الثقافي والفني يكتسبان صفة النبيل. والأكثر نبلاً هو من يقدم الدعم والمساندة لتصل الرسائل النبيلة المتعلقة بقضية سامية.